المحاضرة الثامنة

الفكر السياسي لحركة الاصلاح الديني الغربي

س/ ما هو مضمون حركة الاصلاح الديني الغربي ، ومن ابرز أعلامها ؟

تتضمن لحركة الاصلاح الديني الغربي ثلاث افكار اساسية ؟

١. تبسيط العقيدة المسيحية مع التشديد على نظرية الخلاص ووسائله واعتبارها الدعامة الأساسية .
٢. التشديد على الخلاص الفردي واعتباره علاقة مباشرة بين الفرد وربه دون وسيط لأن الدين امر شخصي.
٣. اهمال نظام الطقوس الدينية التي عرفتها الكنيسة في العصور الوسطى وما رافقها من تسلسل في مراتب الكهنة .

وعكست حركة الاصلاح الديني الغربي بأفكارها هذه محاولة التوفيق بين العصور الوسطى وطقوسها الدينية وعصر النهضة الذي اكد على أهمية الفرد فأكدت الحركة على اهمية الفرد وامكانياته وقدرته الفردية والشخصية على ممارسة هذه الطقوس الدينية فهي من البساطة التي لا تحتاج فيه الى وجود كهنة وقساوسة يتولون القيام بهذه الطقوس خاصة بعد ان سلكت الكنيسة طريق بيع صكوك الغفران الألهي فمن كان يريد غفران ذنوبه عليه شراء صك الغفران من الكنيسة مما جعلهم اثرياء ويملكون الأراضي والأموال والذهب بسبب بيعهم صكوك الغفران التي تغفر ذنوب المخطئين كما يدعي رجال الدين . لقد اوجدت هذه الممارسات انتقادات بعض رجال الدين من الكهنة من داخل الكنيسة اللذين دعوا الى اصلاحها ومن هؤلاء رجال الدين :-

أولاً : مارتـــــن لـــــوثر

اعلن الكاهن مارتن لوثر في احدى الكنائس الألمانية الصغيرة عن استهجانه لبيع صكوك الغفران مما خلق اضطراباً حاداً وعاماً ، فكتب لوثر ١٥٢٠ (نداء الى النبلاء

المسيحيين ابناء الامة الألمانية) وكتب في (حرية المسيحي) ، وعام ١٥٢٣ كتب في (السلطة الزمنية) .

اكد لوثر على قدرة الانسان على الخلاص بمجرد اعتقاده برسالة الانجيل التي بشرت بإله محب لطيف يكون الايمان به هو الوسيلة الاولى والوحيدة للخلاص الإنساني وعليه فأن غاية الكنيسة هي غاية تبشيرية تتمثل في الوعظ بالإنجيل فيكفي للإنسان ان يتوجه الى الله مباشرة دونما حاجة الى وساطة الكاهن الذي سيصبح في هذه الحالة عقبة بين الانسان وربه كما يقول لوثر .

اما موقفه من السلطة الزمنية (سلطة حاكم) فكان لوثر يجهل هذه السلطة وطبيعتها ولا يملك الا مفهوماً جزئياً عنها فنادراً جد ما يستخدم تعبير الدولة حيث كان يستخدم بدله تعبير السلطة ، لقد اراد لوثر ان تكون السلطة قوية تقف بوجه رجال الكنيسة فكان موقفه مؤيداً للسلطة المدنية وداعماً الى الطاعة العمياء ، فطالب الشعب بإطاعة الحاكم وعدم عصيانه او مقاومته ولا يأتي ذلك خوفاً أو جبناً من لوثر وانما من اجل تعزيز سلطة الملك بوجه رجال الكنيسة فيقول لوثر تحتاج الضفادع الى طائر جارح .

ثانياً : جـــون كالـــــفن

لقد عانى كالفن من الاضطهاد الديني بسبب افكاره خاصة بعد نشر كتابه (المؤسسة المسيحية) التي كانت بمثابة منشور دفاع واعلان عن ايمان جديد فتجول بين عدة دول ايطاليا وفرنسا وسويسرا ليستقر في جنيف وبالرغم من تشابه لوثر وكالفن من ناحية تأكيدهما على مسألة العقيدة الدينية وضرورة طاعة السلطة التي يكون مصدرها الله ومسألة الحرية المسيحية التي يمكن ان توجد العبودية المدنية فأن التشابه يقف بينهما الى هذا الحد فتميز افكار كلفن بمنهجية عالية اكتسبها من دراسته القانونية وكان ذلك واضحاً في كتابه المؤسسة المسيحية .

وهنا نتسأل كيف ينظر كالفن للسلطة المدنية والدينية ؟ وما هو موقفه من الشعب ؟

يعتقد كالفن ان اجتماعية الانسان تحتم عليه وجود قوانين تنظم حياته السياسية والاجتماعية فلابد من سلطة ووجود طاعة الرعية لملك السلطة ولا يهم لديه شكل السلطة التي يمارسها الحكام فالشعب عند كالفن عنصر سلبي لا يملك الا ممارسة الطاعة التي ليس لها الا وجهتان او موضوعان هما السلطة المدنية والقانون وهذه السلطة لا يكون لها حق تحديد ما هو وجه الايمان والكفر او التوحيد و الوثنية وفي الوقت ذاته لابد من ان تعمل السلطات الدينية والمدنية بشكل متناسق فالسلطة الدينية هي السلطة والمؤسسة المسؤولة عن ادارة كلام الله وقد منحها الله تلك السلطة لإدارة العالم .

ويعلن كالفن عن وجود دساتير تتم بموجبها تعيين حكام ادنى واجبهم مقاومة الطغيان لدى الحكام وحماية الناس وهذا يعد دليلاً على تفكيره هنا في موظفين امثال شيوخ الدوما في روما القديمة .

وخلاصة القول ان لكل من افكار لوثر وكالفن تأثيرهما في تقوية سلطة الحاكم المدنية على حساب سلطة الكنيسة وهذا ادى الى انقسام المجتمع بسبب تلك الافكار فظهرت حروب وصراعات دينية مذهبية بين مؤيد للكنيسة الكاثوليكية ومعارض لها مؤيداً افكار كالفن ولوثر وغيرها من رجال الدين الذين مثلوا حركة الاصلاح الديني وهذا ما سنتناوله في المحاضرة التالية .